

م.ت.ف. والانتخابات الاسرائيلية من الانكار الى الرهان على التغيير

عوض خليل

لم يحدث ان حظيت أي من الانتخابات الاسرائيلية التي عقدت، منذ نشأة منظمة التحرير الفلسطينية، مستوى من الاهتمام والتفاعل معها ومع نتائجها كما حظيت الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة. ومهما يكن مستوى التباين او الاختلاف في تقدير القوى الرئيسية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية لنتائج هذه الانتخابات، فانها اتسمت بايجابية هي الاولى من نوعها، وكشفت عن تحول كبير في الفكر السياسي كان بمثابة القفزة على مستوى ادراك اهمية التغييرات في الوضع الداخلي الاسرائيلي على صعيد خارطة القوى السياسية والحزبية، وما يمكن ان تؤدي اليه هذه التغييرات من اوضاع جديدة تتصل، بصورة وثيقة، بمجريات عملية السلام في المنطقة.

ان هذا التحول في الفكر السياسي الفلسطيني لم يكن مفاجئاً ولا غريباً من منظور مجمل التطورات والاحداث الهامة والخطيرة التي شهدتها النظام الدولي والنظام الاقليمي العربي بدءاً باندلاع شرارة التغييرات في الكتلة الشرقية مروراً بحرب الخليج وانتهاء بتفكك الاتحاد السوفياتي وانهيار المعسكر الاشتراكي. فهذه التطورات كانت بمثابة رافعة هذا التحول والمحرك الاساس له، وربما من دونها كان من شأن هذا التحول ان يستغرق فترة أطول من الزمن اتساقاً مع المقدمات التدريجية البطيئة التي أجريت سابقاً في الفكر السياسي الفلسطيني ازاء الموقف من اسرائيل والحياة السياسية في داخلها. فاذا كانت المقدمات التدريجية السابقة أحدثت تصدعاً في جدار «الحرقات» الفلسطينية من اسرائيل، فإن التحول الاخير ربما كان اطاح بهذا الجدار، وفتح الباب، واسعاً، أمام وعي وفكر سياسي جديدين شكّل مؤتمر مدريد محطة ولادتهما.

جذور التحول

ربما لم يكن الموقف الفلسطيني كما عبرت عنه ردود الفعل من الانتخابات الاسرائيلية خارج التوقعات، وربما اختلف مجرى الواقع في قليل أو كثير من الجوانب والعناصر والابعاد، لكن هذا الموقف، بالرغم من طابعه الذي اتسم بما يشبه «الانقلاب» نتيجة الظروف التاريخية النوعية التي وجد نفسه فيها، كان ثمرة تحولات بطيئة وتدرجية مهدت السبيل له عبر سلسلة من المحطات.

لم ينتقل الفكر السياسي الفلسطيني نقلته النوعية الاخيرة الا بعد مروره بمراحل هامة، تكاد تكون أشبه بالمحطات، وهي على التوالي: مرحلة الميثاق القومي (١٩٦٤ - ١٩٦٨)؛ ومرحلة الدولة الديمقراطية (١٩٦٩ - ١٩٧٤)؛ ومرحلة الدولة المستقلة (١٩٧٤ - ١٩٨٢)؛ وأخيراً، مرحلة ما